## ... فارس "الشعر"

- أو .."واسطة عقد الدهر في صناعة الشعر"[1] -

**طلبت "بالشعر" .. دون الشعر منزلة[2]  فشاء ربك أن لا تُدرك الطلبا[3]**

**إيه..، أخا الوفرة السوداء كم ملكٍ  أعاضك "التاج" منها، لو به[4] اعتصبا**

أبو الطيب../

..الذي نظر الأعمى إلى أدبه، وأسمع أُذن الدنيا شعره، وأسمى بالقريض منزلته، ليلفت إلى مقامٍ.. تبوأه بـ "الشعر":

**إن هذا الشّعر[5] في الشعر ملك  سار فهو الشمس، .. والدنيا فلك**

إذاً لن أتحدث عن المتنبي "الشاعر"، لأن ذلك قد يحتاج إلى ضعف أو أضعاف هذا (الجهد..)، بل عن الإنسان.. والذاتية..

---

[1] كما يقول الثعالبي - صاحب كتاب يتيمة الدهر -

وحُقّ لشاعرنا هذا (الوصف) بل.. ولا أدلّ على ذلك مثلاً (والدلائل على ذلك.. كثيرة):

**كأن الجفون على مقلتي  ثيابٌ شُققن على ثاكلِ**

- أو قوله:

**ومن تفكر في الدنيا ومهجته  أقامه الفكر بين العجز والتعب -**

[2] أي: الإمارة.

[3] الأخطل الصغير.

[4] أي: بالشعر "الذي خلّفت"، وهذا مدلول قول الخليفة.. حين صلب الوزير "ابن بقية".. فرثاه "ابن الأنباري" بالمطلع المشهور:

**علوٌّ في الحياة وفي الممات  كأنك أحد المعجزات**

بـ: يا ليتني أنا المصلوب، وقيلت فيّ هذه القصيدة...إلخ.

[5] يقصد شعره.

من "الطموح الشخصي" الذي ولع بـه، وجعلـه يسبح بالآفـاق ويقطـع البيادر، ويعدو لبيداءَ.. دونها بيدُ..

هذا.. الذي كاد بمرات أن يجلب المنية لطرفه[1]:

**وأنـا الـذي اجتلـب المنيّـة طرفُـهُ فمـن المطـالبُ.. والقتيـلُ القـاتلُ**

قبل أن تأتي على يد "فاتك الأسدي" الذي ما حلـم -مطلقـاً- أن يشـعّ اسمه، أو يدوّن بالتاريخ.. لولا هذه الحادثة - التي كان ثمنها تغييب الرمـز الأدبي الذي:

**كان مـن نفسـه "الكبـيرة" فـي جيـ ـش ومـن كبريائـه في سـلطان[2]..-**

.. فلا على "القريض" أن يُشيّع جدثك والحسرات تزفر.. آهات..

**وقـد يمـوت كثـيرٌ لا تُحِسّـهم كأنهم من هوان الخطْبِ ما وجِدوا[3]**

..أما (أنت) فلا أُماري إن قلت فيك قصد (المعري) - عن ذاته -:

**كـأني لسـان الدهـر لفـظ تضمـن منـه أغراضـاً بعـادا**

**يكررنـي.. ليفهمـني رجـال كمـا كـررت معنـى مسـتعادا**

---

[1] قال أبو الفتح البسيسي:

**ألم تـرَ أن المـرء طـول حياتـه معنـى بـأمر لا يـزال يعالجـه**

**كذلـك (دود القـز) ينسـج دائمـاً ويهلـك غمـاً وسـط مـا هـو ناسـجه**

فـ../ أسأل الله للجميع الأمن والأمان والسلامة في الدين والأبدان.

[2] أبو القاسم "مظفر بن علي الطبسي".

[3] أحمد شوقي يرثي "ثروت بك".

**"البيئة":**

.. لقد كان المناخ.. أو الفترة التي عاش فيها المتنبي[1] ذات دويلات تشابه تنافُرها بـ"إرثٍ" قُسّم، دون تحديد النصاب لكل وارث.. - كـ/ قسمة ضيزى -،

مما دعاه يقول..[2] لممدوحه الأوحد..[3] "سيف الدولة":

**وسوى الروم خلف ظهرك روم[4]  فانظر على أيّ جانبيك تميل؟**

..أي ليس عدو (دولة الإسلام) الروم من يُحترز منه، ... بل هناك من لهم حيّز الاحتراز في همّك.. ومن قِبلك.[5]

---

[1] منتصف العهد العباسي "الثاني". - النصف الأول من القرن الرابع الهجري -

[2] بل وقال.. متألماً لحال هذا الفارس الذي لا يخرج من قتام.. إلا إلى قتام..

**أنت طول الحياة للروم غازياً  فمتى الوعد أن يكون القفول؟**

نبراسه في ذلك - قول أحمد شوقي:

**- دعوتهم لجهادٍ فيه سؤددهم -  و(الحرب) أُسُّ نظامِ الكونِ والأُممِ**

[3] هذا إذا ما أردنا تصنيف مديحه -.. أو فرزه -

[4] ..ويقصد بهم (آل بويه).

[5] وهذا المقام ليس لعرض هذه "الوجهة"...،

إذ يكفي تعبير الشاعر.. وإن كان بالغ كثيراً - عنهم - بـ:

**ودهرٌ ناسه ناسٌ صغارٌ  وإن كانت لهم جثث ضِخامُ**

ثم يقول - يعني نفسه -:

-...

-كما أبدع وصف حاله.. معهم:

**وكيـف يتـمُّ بأسـك في أنـاسٍ تصيبهـم فيؤلمـك المصـابُ [1]-**

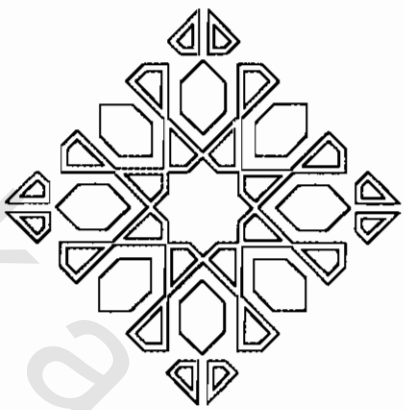

---

...-

**ومـا أنـا في العيـش فيهـم لكـن معـدن الذهـب الرغـام**

- وهذا من معنى.. كرره في سيف الدولة:

**وإن تُفـق الأنـام وأنـت منهـم فـإن المسـك بعـض دم الغـزال !! -**

[1] ..حتى قال له - وبعد سنين من فراقه - يصف حاله:

**أرى المسـلمين مـع المشـركين إمـا لعجـز، وإمـا رهـب**

**وأنـت مـع الله في جـانب قليـل الرقـاد كثـير التعـب**

**كـأنك وحـدك، وحّدتـه ودان البريـة بـابن وأب**



obeikandl.com

**"الإنسان":**

في عام ٣٠٣هـ كان مولد أحمد بن الحسين الجعدي الملقب بـ "المتنبي"، و../أبو الطيب: "مالئ الدنيا .. وشاغل الناس"...

وفي الكوفة .. بمحلة تُدعى "كِنده"[١] مكان الولادة والنشأة، ويكفي لما لهذا المكان والتاريخ ما يكونان لهذا "الفتى" من طموح يرتقي به -شاعراً- ليطلب (الإمارة) بهمة تزدري كل هول[٢]...

**تزدري همّتي كل مطلب ... ويقصر في عيني المدى المتطاول**

.. وذلك في وقت كثرت فيه الدويلات والإمارات، وتعدد فيه الأمراء..، فما من زاوية أو ركن بهذه الدولة - المترامية الأبعاد- إلا وبه إمارة.. و-عليها- أمير!

ولِمَ لا يطلب ذلك، ويحلم بمثل هذا الأمل..

إذا كان بنظره أن "كافوراً" - وهو مولى- بهذا "العزيز..المنال".

---

[١] قال البغدادي - في خزانة الأدب (١/٣٨٢) -:

وهذه ترجمة المتنبي نقلتها من كتاب إيضاح الشكل لشعر المتنبي من تصانيف أبي القاسم الأصفهاني.. حدثني ابن النجار ببغداد أن مولد المتنبي كان بالكوفة في محلة تعرف بكندة بها ثلاث آلاف بيت من بين روّاء ونساج، واختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً، فنشأ في خير حاضره، وقال الشعر صبياً ثم وقع إلى خير بادية..إلخ.

[٢] أو.. كما قال غيره:

**إذا كنت ترجو كبار الأمور ... فأعدد لها همة أكبرا**

وبين تلاطم آمال هذا "العبقري"، وواقعٍ.. كما وصفه هو:

**ودهـــر ناســـه نـــاس صغـــار وإن كـانت لهـــم جثـــث ضخـــام**

نتج عن تزاوجه - هذا التلاطم - شاعر.. رُوي الدّهر بـ"قريضه":

**ومـا الدهـر إلا مـــن رواة قصـائدي إذا قلت شعراً، أصبح الدهر منشـدا**

وهـذا "التزاوج" جعـل مـن أبـي الطيـب "الحكيـم" في وصـف الدنيـا.. وتصادم المطامع بها، يجول ويتخلل بحثاً عمـن يكتشـفه.. ويُقدّمـه لمقـام "ينال به مأربه ويحظى منه بمطلبه".

وقد أخطأ الوجهة.. بداية "حين ادّعى النبوّة"[1]!

..ثم أدرك أن الفطانة[2] لا تزال بسواد الأمّة، ليعـود عـن هـذا، بعـد أن سجنه أبو لؤلؤة "أمير حمص" حتى استتابه.. وأناب:[3]

---

(1) كما تذكره معظم الروايات، ولعل في "سِفر المتنبي" لمحمود محمد شاكر - ت١٤١٨هـ (رحمه الله)- ص:١٩٩ وما بعدها، ما يكشف "بصدق" عن زيف هذا الادعاء، وهذا ما أُصوّبه من وجهة نظري المحدودة، -بالمناسبة، كتاب "سفر المتنبي" - الذي أصـدره بمناسبة مرور ألف عام على وفاة الشاعر.. /وهو كتابٌ جدٌّ نفيس، وقد حوى - بـلا مبالغة - جلّ "سيرة المتنبي" الإنسان والشاعر..، وقد حـاز مؤلفـه عليـه بـراءة جـائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي، في الدورة السابعة عام ١٤٠٤هـ -

(2) ذكر ابن رشيق في العمدة ص٧٥، قوله: أنا أوّل من تنبأ بـ"الشعر" وادعـى النبـوة في بني الفصيص.

(3) .. وقد لقي في سجنه.. ما لقي..، حتى قال - معترفاً -:

**..دعوتـــك عنـــد انقطـــاع الرجـــاء ...إلخ**

-...

**إن أكـن قبـل أن رأيتـك أخطـأ ت، فـإني علـى يديـك أتـوب**

وخرج من سجنه وقد علق به اسم "المتنبي".. -مع كراهيته لذلك-

**هـل (النبـوّة..) شـيء كنـت تزعمـه أم الوشاة.. أساؤوا في الذي زعموا؟**[1]

وقد روى ابن جني - تلميذ المتنبي وشارح ديوانه - إذ قال:[2]

(سمعت أبا الطيب يقول/ إنما لُقبت بالمتنبي لقولي:

**أنـا تُـرب النـدى.. وربُّ القوافـي وسِـام العِـدى وغيـض الحسـودِ**

**مـا مقـامي بـأرض نخلـة إلا كمقـام المسـيح بـين اليهـود**

**أنـا فـي أمـة تداركهـا اللـ ـه غريـب كصـالح في ثمـود**

فهو لم يتنبأ، وإنما خُلع عليه "اللقب" لتشبهه بالأنبياء في هذين البيتين السابقين...)

وربما وُسِم بذلك لفطنته وحدّة ذكائه ونبوغه في الشعر..

---

-...

- ونذكر هذه الطرفة..

مرّ ابن أبي لؤلؤة.. على الشاعر، وقد أثّر تكبيل الحديد في السجن على قسماته، فقال له: ﴿فاصبر كما صبر أُولي العزم من الرسل﴾.. -

وله - هنا - منّا الدعاء المأثور: (ربِّ اغفر لي ذنوباً جرأني عليها عفوك)..،

قال أحمد شوقي:

**إن جـلّ ذنـبي عـن الغُفـران.. لي أمـلّ في الله يجعلـني في خـير مُعتصـمِ**

**وإن تقـدّم ذو تقـوى بصالحـةٍ قدّمـت بـين يديـه عـبْرة النـدمِ**

[1] د. أسامة عبد الرحمن.

[2] يتيمة الدهر لـ"الثعالبي"، (١-٨٠).

**– هــو في شــعره نــبيٌّ ولكــن ظهــرت معجزاتــه في المعــاني –**

إلا أن أبا الطيب كان ذكياً حين يُسأل عن سبب التسمية؟ يجيب بقولـه: أُخذ من النبوّة[1] "أي المرتفع".[2]

و..قال أبو محمد النهشلي: إن أبا الطيب إنما سُمّي "متنبياً"[3] لفطنته.

.. ولما سأله "ابن خالويه" في مجلس سيف الدولة في ذلك؟، أجاب: لست أرضى أن أُدعى بذلك! – أي تسمية "المتنبّي"– وإنمـا يدعونـي بـه من يُريد الغضَّ مني، ..ولستُ أقدرُ على المنع.

---

[1] وقال محمد الخولي – كتابه (الأدب النبوي) ص١٥٥ –:

هـي/ سـفارة بـين الله وبـين ذوي العقـول مـن عبـاده لإزاحـة علتهـم في أمـر معـادهم.. ومعاشهم.

–..ورد عنه صلى الله عليه وسلم، حين سمع قول طرفة بن العبد:

**سـتبدي لـك الأيـام مـا كنـت جـاهلاً ويـأتيك بالأخبـار مـن لم تـزود**

قوله..: "هذا من كلام النبوة" –

النبوّة في اللغة: من الإنباء أي الإخبـار. قـال تعـالى: ﴿مـن أنبـأك هـذا قـال نبـأني العليـم الخبير * إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ سورة التحريم، آية٣–٤.

و..قال أبو تمام: **السيف أصدق أنباء من الكتب**

[2] قـال الحـق سـبحانه عـن سـيدنا "إدريـس" عليـه السـلام: ﴿ورفعنـاه مكانـاً علياً﴾"مريم،٥٧". – وقد فسّر الحسن البصري رحمه الله: المكان بـ: الجنة –

[3] قال بيلبوس – من قصيدته "ميرالادا.. وداعاً" –:

**(فـ: لنختـل مـرّةً.. بعـد مـرة فقـد تعـبَ القلـب بحمـل النبـوة[*] )**

[*] أي: من الترفع عن الرذائل.

## "المادح": [1]

---

[1] أو الشاعر المدّاح.. كما يلقبه الأديب "عزيز ضياء" –رحمه الله–

.. وربما على ذا بنا الدكتور أسامة عبد الرحمن بيته في الشاعر:

**أسرفت في المدح.. لم تترك شواردة  إلا عقوداً.. على التيجان.. تنتظم**

وهي –أي مدائحه– قد تكون أجمل من "العقود" فالذي يتبدّع لممدوحه بـ –مثل–:

**وكيف يشتبه المخدوم والخدم**

أو قوله:

**وكيف يتم بأسك في أناس  تصيبهم فيؤلمك المصاب**

أو قوله على لسان من افتدى نفسه منه:

**يُسرّ بما أعطاك.. لا من جهالة  ولكن مغنوماً نجا منك غانم**

أو مثلاً تطرّب السيوف – بزعمه – عند ذكر اسمه:

**إذا نحن سميناك، خلنا سيوفنا  من التيه في أغمادها تتبسم**

إلا أننا لن نغضّ الطرف عن بعض مبالغاته التي قد تُمّج من ذائقة المتلقي..، كقوله لـ "شجاع بن محمد الطائي":

**ولولا توليّ نفسه حمل حلمه  عن الأرض لانهدت ومال بها الحلم**

أو قوله في بدر بن عمار:

**لو كان علمُك بالإله مُقسّماً  في الناس.. ما بعث الله رسولا**

أو قوله في كافور:

**عدوّك مذموم بكل لسان  ولو كان من أعدائك القمران**

أو قوله – في أبي عبد الله بن سهل الأنطاكي –:

**قد شرّف الله أرضاً أنت ساكنها  وشرّف الناس إذ سوّاك إنسانا**

أو انبهاره بـ شجاعة أميره سيف الدولة لينشأ ذا البيت:

**ومستكبر.. لم يعرف الله ساعةً  رأى سيفهُ في كفّهِ فتشهّدا**

-...

فاصلة - يقول د/ شوقي ضيف: (إن إنزال الشعر منزلة: "حِرفة" تقوم بالمدح.. ولا تقوم بغيره تجزئة يجلّ عنها، ويتبرأ الشعر منها.[1]

إلا أن هناك ملكاً كبيراً ما خُلقوا إلا ليتغنّوا بمدحه[2]، ويتفننوا بوصفه.. ذاهبين فيه كل مذهب، آخذين منه بكل نصيب. وهذا الملك هو "الكون").

ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى في وصف عباده أولي الألباب - بعد أن أسهب عن هذا الملكوت..-:

﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب

---

-...

أو.. قوله فيه - أيضاً -:

**ويستكبرون الدهر.. والدهر دونه ... ويستعظمون الموت.. والموت خادمه**

-.. انظر ما يأتي ص٤٧ هامش (٢) -

(١) .. ولذلك ..

قال صفي الدين الحلي: "وكنت عاهدت نفسي ألا أمدح كريماً، وإن جلّ، ولا أهجو لئيماً، وإن ذلّ، وذلك للتنزّه عن التشبه بذوي السؤال، والترفّع عن التتبع لمثالب الرجال".

(٢) كقول (البحتري).. يصف "دمشق":

**أمّا "دمشقُ" فقد أبدت محاسنها ... وقد وفى لك مُطريها بما وعدا**

**..إذا أردت ملأت العين من بلدٍ ... مُستحسنٌ.. وزمان يُشبه البلدا**

**فليس تُبصر إلا واكفاً خضلاً ... أو يانعاً خضراً.. أو طائراً غردا**

النار﴾.[1]، فهو ﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾[2]..، فسبحان من أودع فيما أبدع خصائص كآيات تدل على الخالق[3]: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾[4]

وقد ذكر "الجاحظ" في (البيان).. قول أحد الخطباء:

"أشهد أن السموات والأرض آياتٌ دالاّت وشواهد قائمات، كلٌّ يؤدّي عنك الحجة ويشهد لك بالرُّبوبية موسومة بآثار قدرتك، ومعالم تدبيرك، التي تجليت بها لخلقك، فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما أنسها من وحشة الفكر، ورجم الظّنون. فهي على اعترافها لك، وافتقارها إليك، شاهدةٌ بأنك لا تحيط بك الصفات، ولا تحدُّك الأوهام، وأنّ حظّ الفكر فيك، الاعتراف لك".

..ثم بدأ يتكسّب بـ "الشعر"[5] عسى أن يجمع المال.. ليبلغه المراد،[6] إذ:

---

(1) سورة آل عمران، آية ١٩٠ ـ ١٩١.

(2) سورة طه، آية ٥٠.

(3) ..وصدق القائل:

**تأمّل سطور الكائنات.. فإنها من الملك الأعلى إليك رسائل**

(4) سورة طه، آية ١٤.

(5) .. قال عباس العقاد "لا ضير على أعظم الشُّعراء أن يصوغ القصيدة في مدح عظيم يعجب به، ويؤمن بمناقبه..!

لكن الخلاف – كما يراه – في نوع المديح .. لا موضوعه"

(6) أي الإمارة.

**لا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله[1]  ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده**

.. فبدأ[2] بمدح "علي بن الطائي" التي منها:

**ألا كل سمح غيرك اليوم باطل  وكل مديح في سواك مُضيّعُ**

ومدح "علي بن إبراهيم التنوخي"[3] بـ:

**أتيناه نطالبه برفد[4]  فطالب نفسه منه بدين**

وبين تنقله على أمصار الشام.. يجد بـ (طَبريّا) الفارس العربي "بدر بن عمار بن اسماعيل"[5] فيُغنّي لسانه.. لابتسام الزمان "بلقائه":

---

[1] .. قال الجاحظ: "إن من فقد المال قلّت الرغبة إليه، والرهبة منه..، ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به..".

قال الشاعر.. بإيضاح:

**يمشي الفقير.. وكل شيء ضدّه  والناس تُغلق دونه أبوابها**

**..وترى الكلاب إذا رأته  عبست به، وكشّرت أنيابها**

[2] من هنا البدء بسرد مجمل عن إجمال - أو أبرز محطات - سيرته.

[3] وكان قد رثى ابن عمه "محمد بن اسحق التنوخي" بقصيدة هي من عيون الرثاء .. منها يخاطب إخوان الفقيد:

**صبراً بني إسحاق عنه تكرّماً  إن العظيم على العظيم صبورُ**

**فلكل مفجوعٍ سواكم مُشبّهٌ  ولكلّ مفقودٍ.. سواه نظيرُ**

[4] أي/ عطاء.

[5] هذا البطل الذي نازل الليث بسوط.. فمرغه بالتراب.. لينطق "شاعرنا" الأسد:

**تلف الذي اتخذ الجراءة خلّة  .. وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا**

مشيراً بفرار الأسد الذي قبله..، لأنه فرّ من "الممدوح" قبل هذا أسدٌ آخر.

**أ عيداً نرى أم زماناً جديدا؟ أم الخلق بشخصك حيّاً أُعيدا ؟** [1]

ثم يمدح قاضي أنطاكية "أبو العشائر"[2] بـ:

**أفعاله نسب.. لو لم يقل معها جَدّي الخصيبُ.. عرفنا العِرق في الغُصُنِ**

.. وبعد هذا.. يقضي "شاعر الدنيا" تسع سنين[3] مع الفارس المغوار

---

[1] حتى استطاع حسّاد الشاعر كـ "ابن كروّس" أن يقلب ميل الأمير على شاعرنا.. فأوعز إلى الأمير.. بهذا البيت:

**إذا صديق أنكرت جانبه لم تُعيني في فراقه... الحيلُ**

- وهنا.. سؤال: هل المتنبي كما نقرؤه في شعره؟، أم أن شعره (صوره) لـ المثالية التي يتمناها؟ ..وهل أبياته وخاصة "الذاتية" تَمثّله، أو تعكس شخصيته؟

مثلاً "وفاءه" الذي نظّر لهذه الخلّة د.طه حسين - مع المتنبي ص٣٠٥-:

فهو - كما يقول عنه - لم يُجرَّب بتجربة حاسمة.. سوى في علاقته مع بدر بن عمار وأمير حلب وأبي العشائر وكافور، وقد كسب الأوّلين من الشاعر صدق ذلك في ذاته..، فمثلاً: حين توترت العلاقة بينهما، ولقي الأذى من حاشيته.. لم يزد على تركه من غير هجاء - وهو دليل على أن وفاءه قوي حتى غلب الغضب المأثور عنه..

[2] وإن كان قد مدحه - أبي العشائر - بمطلع جميل وصوره تعبيرية بالغة، إلا أنها مبالغة مُسفّة:

**الناس لم يروك أشباه والدهرُ لفظٌ.. وأنت معناه**

..ولا تقبل قصداً..، إن قُبلت فناً.

وهو بالمناسبة: الذي عرّف -فيما بعد - بممدوح الشاعر (سيف الدولة الحمداني).

[3] يقول "حورج غريِّب" إن هذه الأعوام "التسعة" أخصب[*] أعوام المتنبي من حيث كثرة الشعر، ومن حيث تنوعه.. ولو لم يكن المتنبي مع سيف الدولة بهذا الشكل.. لفقد فن المدح استقلاله، (المتنبي دراسة عامة، باختصار ص٧٠).

- [*] ويُذكر/ أن قصائده في الأمير الحمداني تربو على نيف وثمانين قصيدة -

القائد والأديب الأمير الحمداني سيف الدولة "أبو الحسن/ علي بن عبدالله بن حمدان"[1] :

---

[1] ذكر ابن خلكان في "وفيات الأعيان": (.. كان سيف الدولة ملكاً على حلب انتزعها من يد (أحمد بن سعيد الكلابي) سنة ٣٣٣هـ، وكان أديباً شاعراً مجيداً محباً لجيد الشعر شديد الاهتزاز له، قيل لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء.. ما احتمع ببابه من الشعراء، وله معهم أخبار كثيرة، ولد ٣٠٣هـ – عام مولد المتنبي – وتوفي بعده ٣٥٦هـ بعد مقتل المتنبي بسنتين).

وجاء في يتيمة الدهر – ج١ ص١٥.. وما بعدها –:

(كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصباحة، وألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم، وواسطة قلادتهم. وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف بأسها (وتنزع لباسها) وتفل أنيابها، وتذل صعابها، وتكفى الرعية سوء آدابها، وغزواته تدرك من طاغية الروم الثأر، وتحسم شرهم المثار، وتحسن في الإسلام الآثار، وحضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبلة الآمال، ومحط الرحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء، ويقال: إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك – بعد الخلفاء – ما احتمع ببابه من شيوخ الشعر، ونجوم الدهر، و"إنما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها"[*] وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر، شديد الاهتزاز لما يمدح به، فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول:

**ذهب الذين تهزهم مداحهم ... هز الكماة عوالي المران**

**كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم ... ملأ يجبة منهم بمكان**

وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياط الكاتب، وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي، قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت، كقول –...

كلما رحّبت بنا الروض.. قلنا "حلب" مقصدنا، وأنت السبيلُ
لديك مرعى جيادنا والمطايا وإليها وجيفنا.. والذميلُ[1]
- والذي/ لا الحلم جادٍ به ولا بمثاله[2].. -

وقال في هذه (الفترة) مدائحَ خلّدت اسم الأمير[3] أبد الدهر:[4]

---

أبي الطيب المتنبي:

خليلي، إني لا أرى غير شاعر فلم منهم الدعوى ومني القصائد)

-(*) وهي كلمة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله -

(1) الوجيف: عدو الخيل، والذميل: ضرب من سير الإبل.

(2) ويحمل - هذا العجز - مُبالغة كبيرة، دافعها - إضافة إلى الحب الشخصي له - أفعال هذا الفارس الأمير.. في وقائعه مع الروم، ومن قبل شجاعته البكر في مطلع العشرينات من عمره، دفع شاعرنا - وقد كان مغموراً - ليعجب به ويحب فروسيته:

وإذا امتحنت تكشفت عزماته عن أوحدي انتفض والإبرام
وإذا سألت بنانه عن نيله لم يرض بالدنيا قضاء ذمام
مهلاً ألا لله ما صنع القنا في عمرو حابس وضبة الأغنام
لما تحكمت الأسنة فيهم جارت وهن يجرن في الأحكام
فتركتهم خلل البيوت كأنما غضبت رؤوسهم على الأجسام

(3) ..كما قال الشاعر في قصيدة يمدحه بها.. لما استبطأ مدحه:

وعندي لك الشُّرَّدُ(*) السَّائرا تُ لا يَختَصِصْنَ من الأرض دارا
قوافٍ إذا سِرنَ عن مِقْوَلي وثِبنَ الجبالَ وخُضْنَ البِحارَا

- (*) شرداً: لأنها لا تستقر على موضع، أي: تسير بها الركبان في الآفاق.. بمدحك، وهذا ما جعل (د. شوقي ضيف) يُثري عنها بـ/ ومدائحه لسيف الدولة تُعدُّ في الذروة لا من شعره وحده، بل من الشعر العربي عامة، فقد صور فيها وقائعه وحروبه -...

-...

تصويراً تشيع فيه البهجة بالنصر والاعتزاز بالعرب والعروبة - كتابه (الفن ومذاهبه)، ص٣٠٦-

(٤) قال أبو اسحاق الغزي:

**لولا أبي الطيب الكندي ما امتلأت مسامع الناس من مدح ابن حمدان**

ولذا رُوي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. أنه سأل أبناء (هرم بن سنان) ممدوح "زهير بن أبي سلمى": ماذا أعطيتم زهيراً؟ فقالوا: مدحنا فأعطيناه.. فقال رضي الله عنه: لقد ذهب ما أعطيتموه.. وبقي ما أعطاكم،.. ويكفي زهيراً - مما أثنى به مدحاً لهرم بن سنان - قوله:

**تراه إذا ما جئته .. متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله**

- وقيل في مدح/ حصن بن حذيفة الفزاري -

... وقد اتفق الشعراء في مجلس عبد الملك بن مروان.. أنه أبلغ بيت بالمديح.

ولعل مما قصده البارودي في تعريضه لمادة "الشعر":

**أبقى زهير به ما شاءه هرم من الفخار حديثاً جدّ مأثور**

وأذكّر هنا - استرسالاً - بقول (د. حسن فتح الباب).. وذلك عندما تحدث عن شعراء الحماسة.. ثم تطرق للمديح: "..ويكفي أن يُستشهد لذلك بقصائد أبي الطيب في سيف الدولة، فهي لا تصوّر هذا البطل بذاته فقط..! بل إنها تصور مناقب الفروسية العربية من خلال البطل النموذج.

وأضاف:

وتُعَد هذه القصائد ومثيلاتها وثائق فنية يرجع إليها المؤرخون والباحثون في خصائص الأمة العربية، والعلماء الباحثون في سمات النفس العربية.

وقال أيضاً/

و كلها - أي تلكم القصائد - تتضمن لوحات فنية لا تُنسى.. في تصوير المعارك، -...

ما الدهر عندك إلا روضةٌ أنفٌ  يا من شمائله في دهره زهرُ
ما ينتهي لك في أيامه كرمٌ  فلا انتهى لك في أعوامه عُمرُ
.. فإن حظك من تكرارها شرفٌ  وحظّ غيرك منها الشيب.. والكبرُ

إذ كان المتنبي يُحبه.. ويخلص له، ويخصّه بمقتٍ[1] خالصة..،

وقيدت نفسي في ذراكا محبّةً  ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا[2]

- قال (ابن نباتة المصري)..موضّحاً:

---

-...

وصراع المحاربين، وبطولة الفرسان المسلمين...إلخ.

باختصار من - المجلة العربية ٥/ ١٤١٨هـ

.. وعد للإفاضة - أيها القارئ - إلى كتابه "المقاومة والبطولة في الشعر العربي"، ص٩٢ وما بعدها.

ولهذا قال "العقاد" -موجزاً-:

(إن المديح من افضل المقاييس.. لقياس حال الأمة.. والشاعر.. والأدب..، في وقتٍ واحد).

[1] المقتة/ المحبّة الشديدة..، ولا أدلُّ على ذلك.. من قوله - حين عوفي الأمير مما ألمّ به-:

المجدُ عوفي... إذا عوفيت والكرمُ  وزال عنك إلى أعدائك الألمُ

ولا نعجب أن نجده.. وهو يُعاتبه لا يدع مدحه/

يا "أعدل الناس".. إلا في معاملتي  فيك الخصام، وأنت الخصم والحكم

..ويروى أن سيف الدولة.. حين وصل لمسامعه قول أبي الطيب في عضد الدولة:

وقد رأيت الملوك قاطبة  وسرت حتى رأيت مولاها

قال أتراه أدخلنا في هذه "الجملة".

[2] - البيت من قول الأول:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم  فلطالما قيد الإحسان إنسانا -

**ولا عيب فيه.. غير أنـي قصدتـه  فأنستني الأيامُ أهلاً وموطنا –**

..بعد أن وجد به ما يُشبع غروره.. ويفي مبتغى ذاته:

**أبصرت بدراً لا يرى (البدر) مثله  وخاطبت بحراً لا يرى العِبر عائمه**

**..غضبت له، لما رأيتُ صفاته  بلا واصفٍ[1].. والشعر تهذي طماطمه**

حتى أنه بالغ جدّاً.. بمدح ذا الأمير "ابن أبي الهيجاء"[2]:

**بالجيش تمتنع السادات كلهم  والجيش بابن أبي الهيجاء يمتنعُ**

**يمشي الكرام على آثار غيرهم  وأنت تُنشيء ما تأتي وتبتدعُ[3]**

**..من كان فوق محل الشمس موضعه  فليس يرفعه شيء ولا يضعُ**

وكيف لا يكون لهذا الأمير "الأديب" واصف.. وقد ازدحم بابه الأدباء والشعراء،[4] إنما هذا ما لم يُقيّمهُ لهم، أو يُقْيمهُ.. ببال شاعرنا.

---

[1] حتى قال فيه..

**ضاقَ الزّمانُ ووجهُ الأرض عن ملكٍ  ملء الزمان وملء السّهل والجبلِ**

– يقول (العكبري) عن هذا البيت: المعنى: يريد أن الممدوح لغرابة أفعاله، وانفراده في جميع أحواله، وما يتابعه من كثرة وقائعه، ويخلّده من جليل مكارمه، وظفره في جميع مقاصده، يحمل الزمان من ذلك ما لا يطيقه، ويكلفه ما لا يعهده، فيضيق عن فخامة قدره، ويقصر عن جلالة مجده، وكذلك تضيق الأرض عما يحملها من جيوشه، ويسير فيها من جموعه، فقد ملأ الزمان بمكارمه ومجده، وملأ السهل والجبل بكتائبه وجمعه –

[2] سمة أبيه.. الذي لُقّب بذلك – لبطولاته وصولاته في ميادين الوغى –

[3] ..يوضح صدر البيت، قول أحمد شوقي:

**ما النّاس إلا أوّلٌ  يمضي.. فيخلفه الأخير**

وإلا لما أنشأ - بكل ثقة -:

**أجزني إذا أُنشدت شعراً.. فإنما بشعري أتاك المادحون مُردّدا**

..ثم إلى "كافور" [1] - بـ (مصر)،.. بعد أن أحسن الحُسّاد التفريق بين الأمير والشاعر[2]، و..بعدما فاض به الكيلُ-..

---

-...

[4] كأبي فراس الحمداني[*] القائل في حب الأمير ابن عمه - بكل ما أوتي من جودة السبك -..

**ليتك تحلو ، والحياة مريرة وليتك ترضى..، والأنام غضاب**
**وليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبيني.. وبين العالمين خراب**
**إذا صحّ منك الودّ فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب**

وابن خلكان - صاحب (وفيات الأعيان) - وابن خالويه -ت٣٧٠هـ- وغيرهم كثير.

- [*] هو الحارث بن سعيد بن حمدان، ولد بالموصل سنة ٣٢٠هـ، ونشأ يتيماً فكفله سيف الدولة فشبّ على الكرم والشجاعة، وقد توفي عام ٣٥٧هـ - حين حاول الثورة على أبي المعالي ابن سيف الدولة فتغلّب الجند عليه وقتلوه - بالعام الذي توفي فيه سيف الدولة -.. وهو صاحب:

**سيذكرني قومي إذا جدّ جدُّهم (وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ)**

[1] "كان (كافور) مولىً لقومٍ من أهل مصر يُعرفون ببني عباس، وكلّم أبو بكر محمد بن طغج - حاكم مصر - صاحبه في بيعه، فوهبه له فأقام على وظيفة الخدمة، ولما تُوفي سيده أبو بكر وكان ابنه صغيراً، قام كافور بتفرده بالخدمة له، ثم قرّب من شاء وأبعد من شاء، حتى إذا ما كبر الغلام وبدأ يُنفّس عن شيء في مكنونه سقاه سماً فمات..، ثم انفرد بالحكم".

- باختصار "جواهر المتنبي" ص ٢٠١ عبد الله عمر خياط -

[2] **وإن بليت بحب مثل وذكم فإنني بفراق مثله قمن**

-.. قمن: أي جدير -

**لقيت المرور والشّناخيب دونه وجبت هجيراً يترك الماء صاديا**

**أبا كل طيبٍ لا أبا المسك وحده وكل سحابٍ لا أخصّ الغواديا**

ولم يذهب لهذا "المولى"[1] إلا رغبة بنيل الحكم "الإمارة"...[2]

بعد أن داهم السبات ذاك الحلم في حلب، وكيف لا يفيق ذو المنى.. بعدما اكتنز من المال ما يكفي.. وأخذ من الشهرة ما يفي، حتى ولو كان نيل الحلم من هذا "المولى".[3] - إذ..

---

[1] كما قال عن ذا محمود سامي البارودي:

**لولا أبي الطيب المأثور منطقه ما سار في الدهر يوماً ذكر "كافور"**

[2] قال ابن رشيق – العمدة ص٤٥، ج١:

(.. وقد خطب أبو الطيب هذه الرتبة – أي الولاية – من كافور الإخشيدي، فوعده بها[*] – أجابه إليها – ثم خافه لما رأى من تحامله.. وكبره، واقتضاه أبو الطيب مراراً، ومن اقتضائه.. قوله:

**وهبت على مقدار كفيّ زماننا ونفسي على مقدار كفّيكَ تطلبُ**

**إذا لم تُنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوني، وشغلك يسلبُ**

ثم صرّح بعد ذلك..:

**وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب..)**

- [*] وكان كافور قد وعده بولاية (صيدا).. كما جاء في: الصبح المنبي (١/١١٥) –

[3] قال أحد الفلاسفة: "إذا احتاج الرجل إلى كسرة خبز و لم يظفر بها، فإنه يُقدّم تنازلات كثيرة..!".

حتى ليقول:

**ولستُ أُبالي بعد إدراكي العُلى أكان تُراثاً ما تناولت أم كسبا**

-...

كما يقرر هو من قبل! -

فبدأ يستعطف "كافور" ويتزلّف إليه..، وهذه أوّل ترجٍّ:

**إذا كسب الناس المعالي بـ "الندى"[1]  فإنك تُعطي في نداك المعاليا**

و..يستحثّه.. بأدب:

**وغير كثيرٍ أن يزورك راجِلٌ  فيرجع ملكاً للعراقين واليا[2]**

ويتقرب إليه[3] بالحب الشخصي:

**أنت الحبيب، ولكني أعوذ به  من أن أكون محباً غير محبوب**

.. ومن باب آخر:

**ومثلك من كان الوسيط فؤاده  فكلّمه عني ولم أتكلم**

- مع تمنٍ[4]..

---

-...

ألم يقل - شاعرنا -: "و..الجوع يُرضي الأسود بالجيفِ!"

(1) أي: العطاء.

(2) ..من معنى قول "الحطيئة" في (علقمة بن علاثة) - وهو يرثيه - وكان الشاعر أمّ نحوه.. فوجده قد مات -:

**وما كان بيني لو لقيتك سالماً  وبين الغنى إلا ليالٍ قلائلُ**

(3) ..قال البحتري (زاجراً):

**مالنا نعبدُ العباد، إذا كان إلى الله فقرنا وغنانا**

(4) وقد قال فيه.. من قبل - واصفاً مُقامه -:

**عند الهُمام أبي المسكِ الذي غرقت  في جوده مُضرُ الحمراءِ واليمنُ**

-...

أودّ مـــن الأيـــام مـــا لا تـــودّه  وأشكو لنـــا بيننـــا وهـــي جُنـــده –

.. ثم يطلقها صراحة:

وفي النفس حاجات وفيـك فطانـة  سـكوتي بيـان عندهـا وخطـاب

ولكن ذا "الكافور" أريحة، و"الذكاء" روحـاً.. لم تنطـلِ عليـه مداهنـة[1] الشاعر[2] ليبلّغه.. مأمله.

– فبهـذا .. ومثلـه سـدت يـا ( كـا  فور )، واقتدت كل صعب القيـاد –

ولما أدرك الشاعر.. "ذا" وأييس منه، خلُص.. مع نفسه نجياً..،

– قال أحد الشعراء:

وعدتـــني وعـــداً وقربّتـــه  تقريـــب مـــن يثـــني بإنجـــاز

حتـى إذا قلـت انقضـت حـاجتي  رميـت بـي مـن جـرف مـواز[3] –

---

-...

– أي: مَنْ عم جوده العرب كلهم –

[1] "..يُروى أن بشار بن برد مدح المهدي فلـم يُعطـه شـيئاً، فقيـل لـه: إنـه لم يستعذب شعرك يا أبا معاذ؟.. فقال بشار:

والله لقد قلت فيه قصيدة لو أثنى بها أحدٌ على الدهر، ما خشي صروفه، ولكننا كذّبنا فيه القول، فكذّب أملنا فيه".

[2] ..وهو يدرك.. مراد الشاعر.. حين استفتح أوّل قصيدة أمامه بهذه الآلام المبثوثـة مـن ذات تتحرّق – و..دون فطنة أن (**لكـــل مقـــام مقـــال**) كما يقول الحطيئة –:

كفـا بـك داء أن تـرى المـوت شـافيا  وحســـب المنايـــا أن يكـــن أمانيـــا

[3] أو كما.. قال "عبيد الأشجعي":

وعـدتْ.. وكـان الخلـف منـك سـجية  مواعيـــد (عرقـــوب) أخـــاه بيـــثربِ

فسكب على "المولى الإخشيدي" أقذع الهجاء:[1]

**سادة كل الناس من نفوسهم  وسادة المسلمين ألأ عبد .. القزم**[2]

ثم رحل عنه.. خلسة بليلة ليس بها قمر[3]، بعد أن تأسّف على ما ضيّع عنده من ترجٍّ، وما أبلاه من تزلّف.. لعل..!

لكن../ **إن الثناء على التبالِ.. (تنبال)**[4] - .. كما يُقرّر![5] -

---

[1] وكأنه يردد في صداه - قولاً.. لحافظ إبراهيم -:

**رجوتك مرة وعتبت أخرى  فلا أجدى الرجاء ولا العتابُ**

ألم يقل..

**وشعر مدحت به (الكركد  ن) بين القريض وبين الرقي**

أي "يرقيه" - أو يسحره - .. ثم يقول في البيت التالي:

**فما كان ذلك مدحاً له  ولكنه كان هجو الورى**

أي: إذا كان هذا السيد - المولى.. الكركدن.. الـ.. الـ.. لديكم، فما يكون الرعية: إذاً ذلك المدح هو هجو لمن خلفه.. من علية القوم الذين حوله.

[2] ..وما أجمل الاعتذار الذي مهّده د. غازي القصيبي للذائقة العارفة:

"كل ما نقوله عن كافور من ذمٍ.. ينصرف إلى كافور المتنبي.. وإليه وحده!، أما كافور الحقيقي.. فمكانه الحقيقي محفوظ في التاريخ الحقيقي". المجلة العربية، عدد٢٦٢، -وانظر ما يأتي ص٨٨.. وما بعدها -

[3] مشمراً عن عضديه:

**لتعلم مصر.. ومن بالعراق  ومن بالعواصم.. أني الفتى**

لكن - الذي يظهر - أن كافور لم يجدّ في طلبه

[4] ولماذا .. هذا الاعتراف.. المتأخر..، يا أبا مُحسّد؟! - و..معنى (تنبال): القصير - -...

- قال ابن الرومي:

**كـل امـرئ مـدح امـرءاً لنوالـه  وأطال فيه..، فقد أساء هجاه[1]** -

وأمَّ للكوفة "أطلاله"[2] عائداً، وهو يردد - مع امرئ القيس -:

**وقـد طوّفـت في الآفـاق حتـى  رضيـت مـن الغنيمـة بالإيـاب[3]**

---

...-

بل و لم يبقَ له.. - بعد أن خاب ما ترجّاه فيه أمله..، وانقطعت عن بلوغ المُنى.. سُبله- سوى الاستشهاد بقول ابن الرومي:

**"مدحتكـم طمعـاً فيمـا أؤملـه  فلـم أنـل غـير حـظّ الإثـم والنصـب**

**إن لم تكـن صلـة منكـم لـذي أدب  فـأجرة الخـط أو كفـارة الكـذب"**

وتجد تلميحاً جميلاً في العجز الثاني: الاعتراف بالكذب.. بمدحه!

[5] بل كان من الحق أن يستشهد.. بقول ابن هاني:

**لسـت الملـوم!.. أنـا الملـوم لأنـني  أنزلـت آمـالي بغـير الخـالقي**

[1] ..قال "العسكري":

مادحك بما ليس فيك.. إنما يستهزئ بك!!.

و..قال عبد الملك بن مروان - لرجل ودّ أن يُسرّ له -: لا تمدحني!.. فأنا أعلم بنفسي منك.

[2] كما يقول أبو تمام:

**و..كـم مـنزل يألفـه الفتـى  وحنينـه الدائـم لأول مـنزل**

- فـ:

**بـلادي.. وإن جـارت عليّ عزيـزة  وأهلـي.. وإن ضنّـوا عليّ كـرامُ** -

[3] ..وهذا مما عبّر عنه سلفه (رهين المحبسين) المعري بقوله:

**جرّبـت دهـري، وأهليـه.. فلـم تـرك  لي التجـارب في ودّ امـرئ غرضـا**

..فراسله ابن العميد[1] المُلّقب "بالجاحظ الثاني" وزير ركن الدولة.. فمدحه أبو الطيب:

**بأبي وأمي ناطق في لفظه ثمنٌ تُباع به القلوب وتُشترى**

ثم ودّعه، بعدما أتاه كتاب "عضد الدولة" بفارس، يسأله المسير إليه،.. ويدخل "شاعرنا" بلاد (فارس).. فيرى الحُسن وجمال الطبيعة يخلب اللب!،.. ليصف نفسه[2] - ابن الفيافي والقفار - بين أفياء هذه "المغاني":

**.. ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسانِ**
**ملاعب جنّة.. لو سار فيها سليمان[3] .. لسار بترجمانِ**
**إذا غنّى الحمام الورق فيها أجابته أغاني القيانِ**
**يقول بـ"شِعب بوّان" حصاني: أعن هذا.. يُسار إلى الطعانِ؟**

---

[1] قال عنه الثعالبي في كتابه "يتيمة الدهر":

(كان يقال بدأت الكتابة بعبد الحميد، وانتهت بابن العميد).

[2] ..من قصيدة يمدح بها عضد الدولة.. وولديه، مطلعها:

**مغاني (الشِّعب) طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان**

-..وقد أثرى (العكبري) في شرح هذا البيت: مغاني: واحدها: مغنى، وهو المكان الذي فيه أهله، والربيع: الزمان الطيب، وهو الفصل الذي بعد فصل الشتاء، تخرج فيه الأزهار، وتورق الأشجار، والمعنى: يقول: مغاني الشعب - وهو شعب بوان، وهو موضع كثير الشجر والمياه، يعدّ من جنان الدنيا، كنهر بالابلة، وسفد سمرقند، وغوطة دمشق - طيبة في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان، فهي تفوق سائر الأمكنة طيباً، كما يفوق الربيع سائر الأزمنة -

[3] سليمان بن داوود - عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام - الذي عُلّم منطق الطير.

.. ثم يجيب على حصانه بالتفاتةٍ إلى عضد الدولة "أبي شجاع" مادحاً:

**فقلــت إذا رأيــت أبــا شـــجاع  سـلوت عـن العبـاد.. وذا المكـانِ**

**فـإن النـــاس والدنيـــا طريـــق  إلى مـــن مالـــه في النـــاس ثـــان**

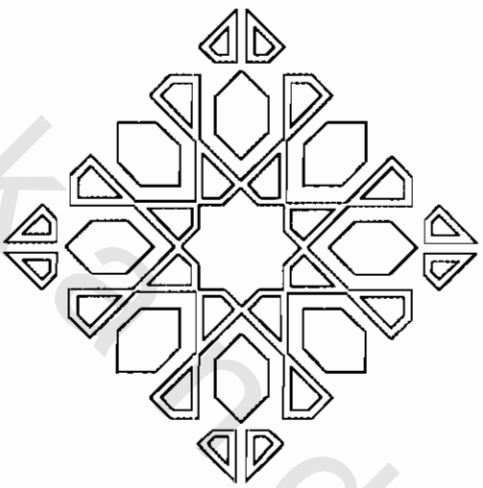

obeikandl.com

## " الخاتمة "..

.. ويُختم لصاحب الـ [٥٦٢٣] بيتاً ـ بما جناه على نفسه ـ:

**وأنا الذي اجتلب المنية طرفه .. فمن المطالب والقتيل القاتل**

فبعد وداعه لعضد الدولة – معتذراً له بشوق العودة إلى أهله[١] –، خرج من "شيراز" عائداً إلى الكوفة..[٢] اعترضه "فاتك الأسدي" في جماعة معه وقتله هو وابنه مُحسّد ومفلح غلامه..

– إذ كان المتنبي هجا ابن أخت فاتك "ضبة"...[٣] بـ:

---

[١] تُرى هل حس الشاعر بقرب الرحيل.. وهو ينشئ لعضد الدولة هذا البيت:

**أروح وقد ختمت على فؤادي بأن يحلّ به سواكا**

[٢] وذلك في مطلع شهر شعبان ٣٥٤هـ.

[٣] وهو (ضبة بن يزيد العيني..)

والسبب/ جاء في ديوان المتنبي هامش (١) ص٢٠٤ – قيل:

اجتاز أبو الطيب بـ "ضُبّه" فامتنع عنه بحصن له، وكان يجاهر بشتمه وشتم من معه، وأرادوا أن يُجيبوه بألفاظه القبيحة، وسألوا ذلك أبا الطيب، فتكلفه لهم.. على كراهية منه..، منها:

**إنما قلت.. ما قلتُ رحمة به.. لا محبة**

ثم يلتفت للمهجو:

**يا قاتلاً كل ضيفٍ فناء صفيح وعُلبة**

**وخوف كل رفيقٍ.. أبا تلك الليل جنبه**

**..ومن يُبالي بذمٍ إذا تعوّد كسبه**

**إن أوحشتك المعالي فإنها دار غربة**

-...

(مـــا أنصـــف القـــوم ضُبّـــة  وأمّـــــه الطُّرطبّـــــة)

وذلك في "دير العاقول" -النعمانية - في الشمال الغربي من سواد بغـداد قبل عيد الفطر ٣٥٤هـ.. لِتُغلق[١] صِحاف ذا الذي:

كـان مـن نفسـه الكبـيرة في جيـ  ـش ، ومـن كبريائـه.. في سُلطان[٢]

فكان المُأمّل.. (الحفرة) التي رمت بهذا الفـارس إلى هاويـة كـانت مـلاذ النفس "المبتغى":

ومـــن يـــكُ قلـــبٌ كقلبـــي لـــه  يشـقّ إلـى العـزّ قلـب التّـوى

---

...-

أو أنســـــتك المخـــــازي  فإنهـــــا لـــــك نســـــبة

..وإن جهلـــــت مُـــــرادي  فإنـــــه بـــــك أشـــــبه

..وهكذا يتضح للقارئ أنها - كما قيل - من أردأ شعره.

[١] قيل كثيراً عن سبب مقتله.. ، إلا أن هذه القصيدة هي المتكأ.. ، والله أعلم..

..كـم في المقـابر مـن قتيـل لسـانه[*]  كـــانت تهـــاب لقـــاءه الشـــجعان

. . و/

كـــم مـــن حـــروفٍ تجـــرّ الحتـــوف  ومـــن نـــاطق ودّ لـــو أن ســـكت !

أيضاً:

كـــم حديـــث يظُنّـــهُ المـــرءُ نفعـــاً  وبـــه - لـــو درى - يكـــونُ البـــلاء

- [*] احـذر لسـانك أيهـا الإنسـان  لا يلدغنّـــك.. فإنـــه ثعبـــان -

[٢] لأبي القاسم/ المظفّر علي الطّبسي - يرثيه - وجاء منها:

لا رعـــى الله ســـرب هـــذا الزمـــان  إذ دهانـــا في مثـــل ذاك اللســـان

مـــا رأى النـــاس ثـــاني المتنـــبي  أيّ ثـــانٍ يـــرى بكـــر الزمـــان

كـان مـن نفسـه الكبـيرة في جيـ  ـشَ، ومـن كبريائـه..في سـلطان

وكبت الجموح..، ليتوقف ذلك السيل الهادر - من جبل- ..وبين دفّتيه عزم دفعه إلى سلك الوعر من الطريق، حتى ليقول مستأسداً:

..... **أمـات المـوت.. أم ذعـر الذعـر؟!**

... رغم طوله - أي الطريق - و..بُعد مرماه، الذي للأسف /كان/ سراباً يصله إلى سراب..

و لم يخطئ لأنه سلك طريق المجد -أو- "المطلوب"

بل أن تركيبته النفسية وحدّة في الطبع[1].. قد تكونـا أعاقـاه عـن بلـوغ "المرام".

ولكن لا يجب أن تكون تلك "عيوب" لأن مقابل تلك العيوب.. ميزات أوصلت بهذا الحكيم إلى أعلى المراتب.. - مقامه شعرياً -[2] وشيء يدرأ

---

[1] -..انظر ما يأتي ص١٢١ ..وما بعدها -

[2] مع التسليم بتقرير من سبق.. في نقد هذا "النسق".. قال ابن سلام وأبو عبيدة:

".. وما تشاء أن تطعن في شعر شاعر.. إلا وجدت مطعناً" -الأغاني ج٢، ص٤٦-

.. وراجع ما أنكره العلمـاء مـن شـعره -مثـلاً - في كتـاب (الوسـاطة) لـ أبـي الحسـن الجرجاني، ص ٣٢٩-٣٦١.

.. وعلّق أحدهم على هذا "البيت"

**فتى ألـف جـزء مـن رأيـه فـي زمانـه أقـل جزيـئ بعضـه الـرأي أجمـع**

أنه.. ركّب من التقديم والتأخير والحذف والإبهام.. مالا يُباح مثله، في أساليب الكلام

..واقرأ - إن شئت - تعقيده:

**لو لم تكـن مـن ذا الـورى الـذي منـك هـو عقمـت بمولـد نسـلها... حـواءُ**

-...

شيء[1].. - فـ:

**..مـن ذا الـذي مـا سـاء قـط ومـن لـه الحُسـنى فقـط -**

بل وهذه - النهاية - هي شرك (الوهم) الذي داعب أحلامه:

**تحتقر عنـدي همـتي كـل مطلـب ويقصـر في عيـني المـدى المتطـاول**

ولهذا الذي خلفه تلك النفس الأبية التي بين جوانحه.. كانت دافعاً لهذا الطلب:

**ومن يبغ مـا أبغي مـن المجـد والعلى تسـاوى المنايـا عنـده والمقـاتل..**

حتى أُزفر عن صدره..[2] وكأنه يلمس.. ويتحسس قرب الرحيـل /بـ/ .. بعد إدراكٍ مُتأخّر.. أن:

---

-...

(لا تعليق...!!)

إذ ليس فيما أنشأ "هنا" ما قصده أبو سعيد القرشي - في أرجوزته (فن الضرائر) -:

**وربمـا تصـادف الضـرورة بعـض لغـات العـرب المشـهورة**

بل حتى أنه لم يسلم.. من أقل من ذلك - راجع ما قيل في كلمة (مسبطر) -أي: ممتد- وهو يرثي أم سيف الدولة، حيث عُلّق على سوء اختياره هذا.. كثيراً.

وهذا يذكّرنا بإنكار عبد الملك بن مروان على شاعره - ذا النظم اللين - (جريـر) بلفظة (بوزع).

ومع هذا يظل (عيب الكبير.. كبير) كما قال جمال الدين الأفغاني للسلطان العثماني -

[1] ..فـ:

**أقـل ذا (الـود) عثرتـه، وقفـه علـى سـنن الطريـق المسـتقيمه**

**ولا.. تسـرع بمعتبـة إليـه فقـد يهفـو ونيتـه سـليمه**

[2] فلا جديد في إنشائه.. حين يقول عن "دهره":

**وهـان .. فمـا أبـالي بالرزايـا .. لأنـي مـا انتفعـت بـأن أُبـالي؟**

**وقت يضيع، .. وعمر ليت مُدّته  في غير أمته من سالف الأمم!!**

**..أتى الزمان بنوه في شبيبته  فسرّهم.. وأتيناه على الهرم[1]**

.. وذلك بعدما أفنى جلّ حياته خلف منىً.. حال عن بلوغها ـ مع كِبر ذاته ـ ظروف عصره.. وقلّب حوادثه.

قال أبو الفتح بن جني – راثياً –:

**غاض القريض وأودت نضرة الأدبِ  وصوّحت بغدريّ دوحة الأدبِ**

ولنستعير له من رثائه للتنوخي:

**كفل الثناء[2]..له، بردّ حياته  في رقّة لمّا انثنى .. فكأنه منشور**

---

[1] .. وهذا – البيت – يحمل بعض نقض.. مما أنشأ شاعرنا – بعد –:

**صحب الناس قبلنا ذا الزمانا  فعناهم من أمره .. ما عنانا**

[2] .. على شعره.